مجلة الجمعية العلمية الإيرانية للغة العربية وآدابها،
فصلية محكمة، العدد الـ٣٤، ربيع ١٣٩٤ هـ.ش/
٢٠١٥ م؛ صص ٣٨-١٩

مقوّمات العالمية في رواية «رامة و التنين» لإدوار الخراط في ضوء نظرية حسام الخطيب «دراسة في الأدب المقارن»

هادي نظري منظم[١]، شهرام دلشاد[٢]*

١. أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية و آدابها بجامعة تربيت مدرس
٢. طالب مرحلة الدكتوراه في فرع اللغة العربية و آدابها بجامعة بوعلي سينا

تاريخ استلام البحث: ٩٢/١٠/١٦ تاريخ قبول البحث: ٩٣/١١/١٨

الملخّص

هناک من الروايات العربية ما بلغت مرتبة العالمية بما تمتلک من مضامين عالية وميزات فنية راقية وتقنيات وأطر رشّحتها لنيل جائزة نوبل في الأدب، منها رواية رامة والتنين لإدوار الخراط، فهي رواية تأملية رائعة بلغت مستوى العالمية وترجمت إلى بعض اللغات العالمية كاللغة الإنجليزية. وهذه المقالة تعتمد المنهج الوصفي- التحليلي، كما تعتمد شروط العالمية من وجهة نظر الدكتور حسام الخطيب. والجدير بالذكر أن الصلة بين الأدب المقارن والعالمية وثيقة جداً؛ فالأدب المقارن يدرس الأدب خارج حدوده الثقافية واللغوية والمعرفية، و يُعنَى بالآداب التي تتخطى الحدود القومية الضيقة لتدخل في دائرة العالمية وتحظى بالخلود. وقد تبيّن لنا من جراء البحث أن رواية رامة والتنين تمتلک مقوّمات العالمية الأدبية من ناحية المضمون والشكل والتقنيات السردية الحديثة؛ فهي قد وقفت أمام قضايا إنسانية هامة كالحب والموت، وهي ذات نزعة أسطورية شرقية عامة وعربية خاصة، تميل إلى الميثولوجيا القديمة وتعطيها نكهة محلية؛ كما أنها لا تخلو من التفرد والإبداع.

الكلمات الرئيسة: الأدب المقارن؛ العالمية؛ حسام الخطيب؛ إدوار الخراط؛ رامة و التنين.

المقدمة

أصبحت الرواية تحتل مكاناً بارزاً بين فنون الأدب، وقد نالت المرتبة الأولى بين جميع الأنواع الأدبية في العصر الراهن، بحيث يعتبرها الناقد العربي الشهير جابر عصفور ديوان العرب(البحراوي،

* **الكاتب المسؤول** Sh.delshad@ymail.com

لاتا: ١٢) والرواية العربية المعاصرة قد حققت تقدماً باهراً في العقود الأخيرة وأصبحت جنساً أدبياً راقياً استغرقت مكانة كبرى في المجتمع وهي تقوم بتحليل المجتمع الإنساني ونقده وتصوير أزمة الإنسان المعاصر، كما أنها تكاد تحل محلّ الفلسفة في تبيين المبادئ الفلسفية والفكرية وترافق الفنون الجميلة، وتتداخل معها أحيانا.

وهناک روايات أدبية غربية اجتازت الحدود القومية الضيقة وارتقت إلى مستوى الإعتراف العالمي، كما أن ثمة روايات عربية تمتلک مقومات العالمية أو إنها بلغت مرتبة العالمية فعلا. والحديث عن مقومات العالمية من أهم ميادين البحث في الأدب المقارن المعاصر؛ و ذلک أن فلسفة الأدب المقارن تقوم على دراسة الآداب خارج حدودها اللغوية والمعرفية والثقافية؛ فهو يرفض الانزواء ويرحّب بتجاوز الحدود القومية، ويَنشُدُ الارتقاء إلى عالم إنساني أجمع وأوسع. و بالتعرف إلى العالمية وكشف مقوماتها تخرج الآداب القومية من إطارها القومى وتجد جمهوراً لها في شتى أنحاء العالم، وتحظى بالخلود؛ لكن الطريق إلى العالمية ليست مفروشة بالورود؛ فهي شائكة جداً وعسيرة المنال. وبالمناسبة تحسن الإشارة إلى أن «منح جائزة نوبل للأديب العربي نجيب محفوظ قد شكّل حافزاً إلى مزيد من التفكير والتعمق في مسألة عالمية الأديب العربي الحديث انطلاقاً من حالة نجيب محفوظ الذي اعترف العالم بعالميته. وفي ذلك السياق أثيرت قضايا مهمّة، كقضية العلاقة بين المحلية والعالمية، أي هل يتنافى الطابع المحلي الذي يتّسم به الأدب مع عالميته، أم يشكّل ذلك الطابع شرطاً من شروط العالمية؟ ومن تلك القضايا قضية الترجمة الأدبية ودورها في التعريف بالإبداعات الأدبية العربية وفي صنع عالمية الأدب العربي (عبود، ١٩٩٩: ٧٢).

والوصول إلى العالمية الأدبية من أبرز طموحات الأديب المعاصر. وقد تناول بعض المقارنين العرب هذا الموضوع وناقشوه وبيّنوا مقوماتها. فنظروا إلى "الأدب العالمي"، و"عالمية الأدب" على وجه العموم وإلى "عالمية الأدب العربي" على وجه الخصوص؛ منهم الدكتور محمد غنيمي هلال، وفؤاد المرعي، وسعيد علوش، وعزالدين المناصرة، ونبيل راغب، وعبده عبود. وعلى رأس هؤلاء جميعاً الناقد والمقارن العربي الشهير الدكتور حسام الخطيب؛ فقد شغلته قضية عالمية الأدب عامة، وعالمية الأدب العربي على وجه التحديد، وخصّص لها فى كتابه الأدب المقارن من العالمية إلى العولمة بحثاً قيماً فريداً في بابه. ونظراً لشهرة نظرية الخطيب عن العالمية في الأقطار العربية فقد تبنّاها هنا فى الكشف عن مقومات العالمية في رواية "رامة و التنين" لإدوار الخراط. وإدوار الخراط

من أكثر الروائيين العرب شهرة على الصعيدين الوطني والدولي، ورواياته في الذروة من حيث البنية والمضمون. من هنا تم اختيارنا لهذه الرواية.

الأسئلة و الفروض

تبقى هنا أسئلتان رئيستان هما: هل تمتلك رواية "رامة و التنين" مقوّمات العالمية؟ وإذا كان الجواب بالإيجاب فما هي تلك المقومات؟

والسؤال الثاني: هل تزوّدنا هذه الدراسةُ المبنية على آراء حسام الخطيب حول العالمية بمعيار لمعرفة شروط العالمية واختيار الروايات التي بلغت هذا المستوى؟

وفي معرض الرد على السؤال الأول افترضنا أن قيام الرواية على أساس الموقف الإنساني وفر للرواية إحدى أهم خصائص العالمية. ثم اشتمالها على النكهة المحلية، والتقنيات السردية، وتفردها من حيث نظرتها إلى الحب، وقيامها على الحوار وإنتاجها بلغة حية عالمية، كل هذه تدل على أن هذه الرواية تمتلك معايير العالمية. فالمعروف أن هذه الرواية من أهم الروايات في الوطن العربي، يعتبرها اتحاد الكتاب العرب من الروايات العالمية وجعلها الرواية الثامنة في قائمة أفضل مئة وخمس رواية عربية. فلانبالغ إذا قلنا إن هذه الرواية تتميز بامتلاكها للمواصفات التي ذكرها الدكتور حسام الخطيب فى معرض حديثه عن العالمية الأدبية. وأما في معرض الرد على السؤال الثاني فيمكن القول إن حسام الخطيب لم يغفل في نظريته الشاملة هذه عن مقوّم من مقومات العالمية. فقد استقصى في دقة علمية بالغة، المقومات الأساسية والإطارية الضرورية لبلوغ العالمية وتعمّق في وضع الشروط التي تتحقق العالمية بواسطتها. من هنا يمكن اتخاذ نظريته أساسا لقيام دراسات شتى حول العالمية في الأدب، كما أنها تلفت انتباه المتخصصين إلى معرفة التحديات التي يواجهها الأدبان العربى و الفارسي المعاصران في سعيهما الدائب نحو بلوغ العالمية والخلود، و تزوّدنا بنموذج نظري قيم تقوم عليه دراسات أخرى مفيدة.

منهج البحث

المنهج المستخدم في هذا البحث هو المنهج الوصفى ـ التحليلى، فيقوم- كما أسلفنا- على وجهات نظر حسام الخطيب حول العالمية في الأدب، متخذا من رواية رامة والتنين لإدوار الخراط

نموذجا للدراسة والتطبيق، دون غضّ الطرف عما ألّف حول هذه الرواية من الكتب والمقالات.

خلفية البحث

ثمة دراسات وأبحاث عن روايات إدوار الخراط، منها:

كتاب (١٤٣١) "الرواية العربية والفنون السمعية البصرية" ألفّه حسن لشكر. هذا الكتاب دراسة تحليلية لكثير من الروايات الجديدة وعلاقتها بالفنون البصرية. درس الناقد بعض روايات إدوار الخراط، منها رواية "رامة و التنين". وكتاب(٢٠١٠)"الحساسية الجديدة في الرواية العربية، روايات إدوار الخراط نموذجاً"؛ ألّفه عبدالمالک أشبهون. قام المؤلف بشرح الحساسية الجديدة في الرواية العربية مستعيناً بروايات إدوار الخراط منها رواية"رامة والتنين" مقسماً بحثه إلى ثلاثة فصول: "التشكيل الفني لعتبات الكتابة"، "تجليات الحساسية الجديدة"، "قراءة حوارية في نقد الأعمال السردية". وأيضاً كتاب (١٩٩٨) "ثنائيات إدوار الخراط النصية (دراسات في السردية وتحولات المعنى)"؛ ألّفه أحمد خريس. تحلّل هذه الدراسة النقدية المتعمقة ثنائيات الروائي المصري إدوار الخرّاط، بكل ما تنطوي عليه تلك الثنائيات من تقنيات فنيّة، ورؤى فكرية. ويفيد صاحبها من مختلف الرؤى والمناهج النقدية في حقل السرد، ليكشف عن تحولات الشخصية في نصوص الخرّاط القصصية المراوغة. وهناک کتاب (٢٠٠٣) "الإغارة على الحدود: دراسات فی أدب إدوار الخراط"؛ ألّفه فريد ماهر شقيق. وهناک أيضاً مقالات منها مقالة (١٩٨١) "رامة والتنين، مأساة مصرى"، نشرها سامي خشبة في مجلة الفصول. والمقالة دراسة تحليلية لرواية "رامة والتنين" من جهة المضمون، حيث يحللها على أساس انعكاس المجتمع المصري فيها.

نبذة عن حياة إدوار الخراط و روايته

ولد "إدوار الخراط" في ١٦ مارس سنة ١٩٢٦ في الإسكندرية. روائي وكاتب قصة قصيرة، اشتغل بالنقد الأدبي والتشكيلي، وهو الآن متفرغ للكتابة. ألقى عدة محاضرات. حصل على جائزة الدولة للقصة عام ١٩٧٣، وعلى جائزة الصداقة الفرنسية- العربية من فرنسا عام ١٩٩١. أهم مؤلفاته القصصية: اختناقات العشق والصباح، حيطان عالية، ساعات الكبرياء، رامة والتنين، الزمن الآخر، ترابها زعفران، نصوص اسكندرية، أضلاع الصحراء، يا بنات اسكندرية.

"رامة والتنين" هي رواية للكاتب إدوار الخراط، نشرت سنة ١٩٨٠. بعد ستة عشر عاماً من صدورها، باتت ثلاثيةً، بصدور الجزء الثاني: الزمن الآخر والجزء الثالث: يقين العطش. تعتبر الرواية نمطاً متميزاً في الكتابة السردية الذاتية (سليمان، ٢٠٠: ٢). «إدوار الخراط عندما كتب هذه الرواية، إنما كتبها من منطلق واضح فيها كل الوضوح، حول تجربة الحب الضائع، التي يعيشها مثقف مصري قبطي تكونت ثقافته باعتباره (قبطيا) ينظر إلى الأشياء، و إلى تاريخ مجتمعه ولغته، من منظور فهمه الخاص لتاريخه الذاتي» (خشبة، ١٩٨١: ٢٦٢). والرواية تذكر قصة حب ميخائيل بطل الرواية لرامة. «يعود إدوار الخراط في هذه الرواية لكي يدفعها إلى امتدادات جديدة، متوائمة مع نوع وعيه و مع ما طلبه بطله من حبيبته، ومع ما تصوره عن الحبيبة التي كانت تصبح معادلة للعالم: رمزاً لملكوت الإنسان الذي أراده ميخائيل لنفسه، ثم أصبحت –حين خانته– جحيم عاشقها الذي لم يمقته أبداً» (*المصدر نفسه:* ٢٦٢).

الدراسة و التحليل

مقوّمات العالمية من وجهة نظر حسام الخطيب على ثلاثة أنواع: الذاتية واللغوية والإطارية. من هنا نتناول هذه كلها في رواية "رامة والتنين" بالدرس والتحليل، حتى نتمكن من الإجابة على السؤال الأساسي في هذه الدراسة: هل يمتلك هذا الديوان مواصفات العالمية؟ وإذا كان الجواب بالإيجاب فما هي تلك المقومات المتواجدة فيها؟

والجدير بالذكر هنا أن الرواية العربية بدأت برواية "زينب" لمحمد حسين هيكل (دراج، ٢٠٠٤: ٤٠) وسرعان ما وصلت إلى بلوغها الفني ونضجها، وأخذت مكانها إلى جانب الروايات العالمية ذات الشكل والمضمون العالميين.و لعل المرء يسائل نفسه: هل يمكن أن نعتبر الرواية العربية المعاصرة عالمية؟

والعالمية «هي ارتقاء أدب ما، كلياً أو جزئياً، إلى مستوى الاعتراف العالمي العام بعظمته وفائدته خارج حدود لغته أو منطقته، والإقبال على ترجمته وتعرّفه ودراسته، بحيث يصبح عاملاً فاعلاً في تشكيل المناخ الأدبي العالمي لمرحلة من المراحل، أو على مدى العصور» (الخطيب، ٢٠٠١: ٢٢٨).

المقوّمات الذاتية للعالمية الموقف الإنساني

"الموقف الإنساني" هو الأساس. إنّ الأساس الأول هو المقياس الموقفي أو المضموني أو الفكري. أي ماذا يقدّمه الديوان الشعري أو الرواية أو الكتاب النقدي من فهم لقضية الإنسان سواء في إطار مجتمعه الخاص أم في إطار الكون والمصير(*المصدر نفسه:* ٢٣١). في رواية "رامة والتنين" التي تعتبر رواية تأملية نجد للإنسان وقضاياه موقعاً جلياً وراسخاً حيث لم تخرج الرواية من إطار قضية الإنسان أبداً. و المتأمل في الرواية يجد حوارات خصبة تدور بين شخصية ميخائيل ورامة حول الحب والحياة والموت، وحول الأساطير والتنين وكثير من الموضوعات الإنسانية، شأنها فى ذلک شأن الروايات العالمية الشهيرة التي لا تهمل الإنسان أبداً ولوكان موضوعها غير الإنسان.

بدأ الروائي يسرد الأحداثَ كفيلسوف له آراء قيمة حول الموت والحياة والحب؛ هذه الثلاثة من أهم الركائز في حياتنا البشري وواقعنا المعيش. وقف ادوار الخراط أمام الإنسان يتكلم عن قضاياه ومشاكله وهمومه ويتكلم عن الحب، كموضوع أساسي في الحياة الذي ظل ومازال أثيرا لدى الإنسان. إن شخصية ميخائيل في الرواية (الشخصية المضلّة لدى إدوارد في أغلب رواياته وأيضاً شخصية رامة) كالآلهة والشخصيات الأسطورية يريد أن ينجي الإنسان ممّا يواجهه بكلماته وأقواله التي تدور حول الحب. هونفسه يقول: «هل الحبُ هو النداء الذي لا رد عليه أبداً ولاينقطع، لا بدء له، ولاتبدو له نهاية، هل الحب هو هذه الوحدة؟» (الخراط، ١٩٩٣: ٦)

إذن هو كشهرزاد "ألف ليلة وليلة" يعدّ منجياً ينجي الإنسان بكلماته باعتماده على الحب مثلما فعل شهرزاد التي استطاعت أن تنجي نفسها من الموت المحتوم وإنقاذ حياة بنات بلدتها باتكائها على قصص حبية تصرف الملک شهريار عن قتلها وقتل سائر النساء. وتتحدث رامة هى الأخرى عن الحب كي تتغير رؤيتنا حول الحب نحو الأحسن ولكي نعتبره شيئاً مقدساً.

هذا الحب الذي يتحدث الخراط عنه في الرواية ليس حباً مادياً دنساً، بل حب مادي مقدس يصله بالحب الإلهي، ويتحدث الروائي من خلاله عن موضوعات إنسانية عديدة. الحب عنده أحسن شيء يلجأ الإنسان إليه، ولا يمكن الحياة دون الحب: «وإيمان كلي بأن الإنسان لا يمكن أن يظل وحيداً» (*المصدر نفسه:* ٨). هذا الحب الذي يتحدث عنه الخراط لم يفتقد رسالته حتى نهاية الرواية أو نهاية مصير الشخصيات حب لم يتلوّن بالعداوة والشهوة وإذا تلوّن بالشهوة ليس فيه كذب وكمثل الحب العرفاني لا ذنب فيه ولا كذب «وعرف ميخائيل أن هناک حباً دفيناً

لا ذنب فيه في قلبه ما زال وعلى رغم من كل الأكاذيب والتشوهات، ولم يكن في حبها ولا شهوتها كذب (*المصدر نفسه:* ٣٤٧). الحب عنده كما قلنا حب صوفي حافل بالآلام والمشقات كالتي يحتملها سالك الطريق إلى الله أو آلام الشعراء العذريين وهذا كله يدل على كبر حبه وشدة الشوق الذي يتحدث عنه الخراط.

و ثمة مضمون إنساني آخر يستوقف القارئ في رواية "رامة والتنين" هو ظاهرة الألم. والألم واليأس من الموضوعات الهامة في الخلق الشعري والأدبي منذ القديم ونلاحظه بوضوح في الأعمال التي نال كتّابها جائزة نوبل. يقول موسيه: «إن الأغاني المخضّبة باليأس هي الأجمل» (بطرس، لاتا: ١٠). وهناك علاقة عند الخراط بين الحب والألم كما سبق. يقول المؤلف:«عندما يمتزج الحب كعاطفة صادقة بوجع الحياة، تضحي الحياة أجمل حتى بعذاباتها؛ فهي تحمل في ثنايا تواترات ساعاتها وأيامها لحظات ساحرة، و ومضات آثرة من ذاك الحنين الذي يترك داخل القلب، واعدا بآمال محققة» (الخراط، ١٩٩٣: ٢٣٧). وقد ينتج الألمُ عند الخراط من الفرح؛ لقد صنع الألم من ادوار الخراط عبقرياً متعمقاً وجعل خياله شديد الخصوبة، ومنحه إحساساً بالفوقية، أو الملائكية على شاكلة "بليك" و"شيلي" و"جبران"؛ وأحيانا أفقده الاتزان كما يقول هو، فجاءت روايته عظة أوردها على لسان أبطال روايته.

والموت والحياة كانا وما يزالان موضوعين أساسيين عند الإنسان وهما من المضامين الرئيسة في الأدب الحديث عامة، و في أدب الخراط. يقول الروائي عن الموت: «لم يقل لها: علمني حسي بفقدانك أننا نحب وحدنا. ونموت وحدنا. واستشرفت أنّه ليس حتى في الموت برء من الوحدة. بعد حياة الوحشة المحكوم بها علينا، نحن نموت، ولا نجد في الموت نجدة ولا نلتقي فيه بأحد. الموت يطوي الكتاب ويُغلقه ويكرس ختمه» (*المصدر نفسه:* ١٤).

و اللافت أن ظاهرة الموت قد أثّر على أفكار الأدباء؛ فهو مصدر غنى للخلق الأدبي. وبما أن الموت من أكبر القضايا الإنسانية فقد شغل الإنسان عامة والأدباء خاصةً منذ القدم. وقد اختبر الخراط في طفولته الموت وتكررت هذه الصدمة في حياته وأثّرت في حياته الفكرية. الخراط يتطرق إلى الموت ويبدي رؤية تشاؤمة تجاهه في أعماله. فهو حين يكتب عن الموت تحمل لغته طاقات كبيرة؛ يمتلئ فؤاده بالحزن والكآبة والغضب والضجيج من جراء ذكر الموت، ويثور ثائره.

إذن نستنتج أن أهمية هذه الرواية كبيرة جداً من حيث اهتمامها بالموقف الإنساني بحيث يطلق

عليها بعض النقّاد "الإنجيل الجديد": «أراد أن يقدم إنجيله الخاص والذي يشتمل على فلسفته ورؤيته للأمور والحياة، خاصة فيما يتعلق بالجوانب الفكرية والفلسفية التي تشمل مفاهيم مثل (الموت والحياة، والحق والحقيقة والصدق والحب) وما إلى ذلك من مفاهيم فكرية وفلسفية وحياتية» (صابر: *www.mnaabr.com*). ونجد أن الخراط ربما أراد في رواية "رامة والتنين" أن يقدم رسالة هي أقرب إلى رسالة الأنبياء، أو على الأقل أن يحاكي رسالة جبران خليل جبران في كتابه "النبي" فلديهما فهم مشترك لسر العبقرية، والألم عندهما ذو مكانة كبيرة وناتجة عن الحزن. إذن يمكن القول إن الرواية تقوم على الموقف الإنساني، على أساس أسئلة جذرية ترتبط بقضية الإنسان.

اللون المحلي

مع أن قضية الموقف الإنساني تعد الشرط الأساسي لارتقاء الأدب إلى مستوى العالمية فإنه يجب عدم أخذ هذا الحكم على إطلاقه، وينبغي أن نقرر أيضاً أن هناك أعمالاً أدبية خالدة لايرجع سبب خلودها إلى طبيعة الموقف الذي تقترحه من قضية الإنسان، ولكن إلى ما تتمتع به من نكهة محلية وشخصية قومية أو إقليمية خاصة، ومقدرة على التعبير عن روح منطقة معطاة من العالم في مرحلة تاريخية معينة (الخطيب، ٢٠٠١: ٢٣٢). فاللون المحلي للأثر الأدبي هو الشرط الثاني لارتقاء الأدب نحو العالمية. وهذا ما نلاحظه فى رواية رامة والتنين. إن رواية الخراط زاخرة بصور وألوان ذات نكهة محلية، كصورة القاهرة والإسكندرية، والنيل، وصور عن أبناء وطنه وعن مآسيهم، وهناك شذرات ونتف من أساطير فرعونية وإسلامية مبعثرة في الرواية. كل هذه الألوان والصور تسببت في توفّر النكهة المحلية في الرواية باعتبارها إحدى مقوّمات العالمية. وفيما يلي نماذج من هذه النكهة: «حينما دارت المناقشة بين ميخائيل ورجل فنلندي – أمام رامة – عن المصريين القدماء قال ميخائيل:«صحيحٌ! وليس هناك مع ذلك أجداد مباشرون... الشي المؤكد الوحيد أنه ليس في عروقنا دماء العرب» (الخراط، ١٩٩٣: ١٦٩). وكان الفنلندي يقول: سحرتني دائماً حكايات المصريين، هذه الأهرامات، ما هي؟ أليسوا هم الذين يقدّسون البقر؟ (*المصدر نفسه*: ١٦٨).

تبدو من هذا الحوار النكهة المحلية المصرية. يظهر من النص فهم الإنسان المصري المعاصر

لقضية السلف: فهو لا يرضى أن يعتبر نفسه من العرب الغزاة، بل إن أجدادهم هم المصريون القدماء ذوو الأمجاد والمآثر الخالدة. ورغم تأثر إدوار بالثقافة الغربية لكننا نلاحظ النكهة المحلية أو المصرية في روايته بوضوح؛ فيها يتجلّى المجتمع المصري الحديث وتاريخه وأساطيره وثقافته أو ميثولوجياه الخاصة. نلاحظ هذه الميثولوجيا في اختيار عدد "اليوم التاسع والأخير" للفصل الأخير من الرواية، لأنه يوم الاكتمال وانتهاء الأشياء وانجلاء الوهم كما جاء في الميثولوجيا المصرية «تاسوع الآلهة ورموزه في الزرع وتطبيب الأوجاع وتصور عدد الأفلاک»(راجع: خشبة: ١٩٨١: ٢٦٧)، أو نلاحظها في الميثولوجيا الشرقية عامة. فلهذا العدد عند الإيرانيين الأوائل أهمية بالغة كما يعدون سبعة أودية في مذهب "ميتراييسم" أو "هفت خان" رستم وإلخ. كما نجد لهذا العدد أهمية بالغة في الإسلام لعدهم للأرض والسماء سبعة طوابق أو لطواف المسلمين سبع مرات حول الكعبة وغيرها. إذن نستنتج أن الخراط قد اهتم بهذا الرمز الشرقي وجعل اليوم التاسع يوم تحديد مصير الشخصيات.

جعل الخراط نكهة عربية في روايته أيضاً لدى اختياره كلمة "رامة" كقسمٍ من عنوان الرواية أو جعلها شخصية رئيسية في الرواية، وذلک لأنها منزل في الطريق بين البصرة ومكة وبين رامة والبصرة اثنتا عشرة مرحلة (لسان العرب، مادة "روم") وقد جاء في شعر زهير:

لمن طلل برامة لا يريم عفا وخلا له حقب قديم (زهير، ٢٠٠٥: ٦٣).

وجاء في ديوانه في شرح هذه الكلمة: "رامة" فهي اسم مكان مشهور. هذا الاسم الذي اتخذه الخراط من الثقافة العربية أصبح شخصية مضلة في رواياته لاسيما في ثلاثيته التي تعتبر رواية رامة والتنين إحدى أجزائها.

أما اللفظة الثانية في عنوان الرواية (التنين) فهى تحمل نكهات محلية أوضح من كلمة رامة. ولعلّ كلمة "التنين" التي يسمّى روايته بها ذات دلالات محلية كثيرة نظراً لدور"التنين" في الميثولوجيا الشرقية عامة والمصرية خاصة. إن الشرقيين القدماء قد عرفوا التنين وتجلّى هذا الكائن في حكاياتهم الشعبية أوالفولكلورية، وله دور بارز أيضا في حكايات "ألف ليلة وليلة"، و هو يوجد في الميثولوجيا الإغريقية لكنه أكثر بروزاً في الأساطير الشرقية كالمصرية والإيرانية أو الهندية والصينية. نجد في الرواية صراعاً بين ميخائل والتنين مثلما فعل رستم عندما دخل صراعا عنيفا ضد التنين في الميثولوجيا الفارسية وأمثالها كثيرة في الحكايات الشعبية الشرقية.

ونلاحظ النكهة المحلية في اختيار اسم ميخائيل لبطل الرواية أيضا. «فقد ولد ميخائيل في يوم عبدالقديس ميخائيل، أحد كبار قديس كنيس مصر القبطية؛ و سمّي باسمه؛ وعاش ميخائيل مؤمناً إيماناً وجدانياً عميقاً بأنه على علاقة ما بكبير الملائكة الذي قتل تنين النهر (رمز الشر وتجسيد الشيطان)؛ وقد حكا هو هذا التعلق الشديد لرامة. ولكن رامة قالت له بعد ذلک:أنت قتلت التنين، وكانت تقصد بالتنين ما يحجزها عنه ... ولكي تعلن له في نفس الوقت قبولها لرؤاه قبولاً عاطفياً واضحاً رؤاه عن نفسه ورؤيته لها هي» (خشبة، ١٩٨١: ٣٦٥).

إذاً نحن نلمس النكهة المحلية في رواية رامة والتنين بوضوح: في اختياره لعنوان الرواية والشخصيات المركزية وأيضاً في كثير من أحداث الرواية. ويستفاد من هذا أن المؤلف أو السارد قام بالوظيفة التوثيقية والاستشهادية في هذه الرواية «وتتجلى هذه الوظيفة حينما يجد السارد، المصدر الذي استقى منه معلوماته أو المشاعر التي توقظها حادثة ما» (وسواس ٢٠١٢: ١٠٧) وفيها يقوم الراوي بتأصيل رواياته في الثقافة العربية والتاريخ. وقد يقوم الراوي أحياناً بهذه المهمة(عزام، ٢٠٠٥: ٨٧). فالسارد قد استقى معلوماته حول رامة وميخائيل والتنين من التاريخ المصري الواقعي والأسطوري. وهذا من مظاهر النكهة المحلية.

الخراط يسعى في تأصيل رواياته، رغم تأثره بالآداب الغربية. إذن يتم تلاقي الأساطير الفرعونية والعربية والإسلامية أو الشرقية عامة في روايته هذه.

التوازن بين الخاص والعام

يبدو أنّ المطلوب هو عملية توازن دقيقة جدّاً بين الخاص والعام، ما يخصّ مجتمعاً معيّناً في فترة معطاة وما يخصّ الإنسانية بالمعنى المطلق وكذلک بين المتحوّل والثابت، أي بين ما هو الطارئ والضمني وبين ما هو جوهري و متكرّر على المدى فيما يتعلّق بالحقيقة الإنسانية (*المصدر نفسه:* ٢٣٤). والأثر الأبي العالمي هو ما يتمتع به جماهير القراء، المتخصصون منهم وغير المتخصصين. أما فيما يتعلق بتواجد ميزة التوازن في رواية "رامة والتنين"، فيمكن القول إن هذا العمل الروائي يتنقل بين النسقين العام والخاص ويتميّز بالتوازن في ذلک، حينما تصبح الشخصيات رمزاً للبيضة الكونية ترتبط بالخواص ولا يفهمها إلا ذوو الفطن الذكية. ولكن تقوم الرواية على القصة الغرامية بين رامة وميخائيل أو تقول الشخصيات في الرواية أقوالا حكمية أو لغة الرواية السلسة والسهلة

وكثير من الأمور التي تؤدي إلى إقبال الجماهير عليها. ونظرا لهذه كلها نلاحظ طبعات مختلفة للكتاب عن دور نشر مختلفة.

شخصية ميخائيل تعد في الرواية شخصية قديسة. فقد وُلد ميخائيل في يوم عبدالقديس ميخائيل، أحد كبار قديس كنيس مصر القبطية ويريد الروائي أن يجعل علاقة بين شخصية ميخائيل في الرواية وتلك الشخصية القديسة القديمة، لكن يجعله مخالفا لشخصية ميخائيل القديمة؛ إذ جعله عاشقاً لرامة، وهذا مما لايقبله القدّيسون أبداً. إذاً طرح الخراط هنا مشكلة عظيمة يواجهها الإنسان المعاصر: اعتبار الحب فهي عد الحب شيئا دنساً! لكنه يحاول أن يجمع بين قداسة ميخائيل ودناسة الحب. فليس الحب دنساً وتزداد قيمته في الرواية. هنا نجد توازناً بين القديم والجديد أو بين الخاص والعام. الخواص يقرأون الراوية وما فيها من حديث عن موضوع ديني- قبطي، لكن العوام يقومون بقراءة الرواية وما فيها من قصة حب جديد و ينقلونها في بيوتهم ومقاهيهم إلى جانب قصة حب ليلى العامرية وسائر القصص الحبية.

والتوازن قائم أيضا عندما يتحدث الروائي عن الموضوعات التي ترتبط بالأساطير كنشأة الكون ونزول أورفيوس، أو عندما تساق الرواية نحو التراث الحضاري المرتبط بالخواص. لكن الروائى لا يقتصر على هذه الأمور، ولكنه يعطي تلك الأساطير والرموز دفقة يومية أو يسقط الحاضر على الماضي وكأنها حدثت في العصر الراهن؛ مثلما فعلت الرواية بشخصية ميخائيل وأنها غيرت مهمته في الرواية. إذن نلاحظ توازناً بين الأسطورة و والواقعية. إن شخصية ميخائيل ورامة من الشخصيات الواقعية والمعاصرة اكتسبت أبعاداً أسطورية وهما مأخوذتان من شخصيات "أروفيوس" و"يوريدايس". إذاً نجح الروائي في أن يقيم توازناً بين العام والخاص في موضوعات الرواية وذلك بالحديث عن الأسطورة ورموزه (للخواص) وربط هذه الأساطير بالواقعية وحياتنا الراهنة وبالتالي تقريب الأسطورة إلى الواقعية وحياة العوام.

هناك أيضاً توازن بين اللغة الشعرية والروائية ولم تجر الألفاظ بوضوح التقرير كاللغة السردية وأحياناً نشاهد أنها تتسم باللغة بالشعرية وتساق نحو الغموض والكشف. هناك أيضاً توازن بين الزمن الحديث والقديم، أو بين الحب والشهوة، بين الحوار والسرد؛ الأمر الذي ساق الرواية نحو مناح مختلفة وجعل الجميع يتمتعون بها؛ لهذا يجب القول إن الروائي قد نجح في إنجاز هدفه وتحقيق مضمون رفيع وتوازن ملحوظ بأفضل نحو ممكن.

التفرد والابتكار

فأحياناً يحظى عمل ما بشهرة فائقة بسبب ما فيه من لون نوعي جداً ومميز جداً قد يختلف اختلافاً كبيراً عن روح المنطقة الأجنبية التي يشتهر فيها أو عن المناخ الأدبي السائد عالمياً (الخطيب، ٢٠٠١: ٢٣٣). وهذا ما يسمى بالتفرد والابتكار ويعد أحد الشروط لارتقاء الجنس الأدبي إلى مستوى العالمية. فيما يتعلق بتواجد هذه السمة في الرواية نقول: «إنها رواية من نوع جديد على الأدب العربي، ليس فقط باعتبارها نوعاً جديداً في أدبنا القصصي من حيث التعبير والنسج والبناء؛ ولكنها جديدة تماماً في نوع التجربة التي تدفع القارئ إلى مواجهتها» (خشبة، ١٩٨١: ٢٦١) هذه الرواية فريدة في العصر الحديث، وهذا التفرد يرجع إلى أمور شتى منها قيامها على أساس حوار غرامي واعتمادها الرمزية والأسطورة والانزياح، خاصة الانزياح الأسطوري و استخدامها الأساليب السردية الحديثة، خاصة الواقعية السحرية التي أسّسها أمثال "غارسيا ماركز" في كتابه المشهور"مئة سنة من الوحدة". وقد أعجبت هذه الرواية النقاد وأكدوا على عبقريتها وتفردها.

أما الميزة الثانية التي تسببت في تفرد الرواية فهي بنائها الرمزية. لا يعتبر تواجد الرمز فى رواية ما سبباً فى تفردها بين الروايات، لأن هناک مئات من الروايات تقوم على الرمز، لكن المهم فى هذه الرواية قيامها على تمازج رموز خاصة ومختلفة، وطريقة الكاتب فى عرض هذه الرموز، بدءاً بالرموز الأساطيرية كاليونانية والفرعونية وانتهاءا بالرموز العربية والإسلامية ک "رامة" و هى رمزٌ للإنسان الذي يبقى في ساحة الحياة ولا يموت أبداً. والأدب العربي الحديث لا يعرف مثل هذه الرموز.

أما الميزة الأخرى التي تسببت في ارتقاء هذه الرواية مستوى التفرد فهي تعريفها الجديد عن الحب: الجديد هو نوع ومستوى معاناة التجربة. تجربة الحب وإهداره وضياعه. ونوع معاناة ما تقضي إليه التجربة من ضياع لليقين وخسارة للإحساس بمعنى الحياة» (*المصدر نفسه:* ٢٦١). «إن رامة لاتنتمي إلى نوع مما انتمت إليه محبوبات شهيرات في أدب الحب القصصي. إنها ليست رمزاً للبراءة المفقودة، مثلما كانت بياتريس عند دانتي؛ وليست رمزاً للجمال المطلق كما كانت روكسانا عند إدمون روستان؛ وليست هي المرأة موضوع الحب المجرد شبه الصوفية مثلما نعرف عن ليلى العامرية، ورغم تركيز ميخائيل على تأثره الشعوري بالجانب الجنسي من تجربته معها فإنها لا تشبه

في شيء بطلات هنري ميللر اللواتي يصبحن موضوعاً للجنس المجرد. ومع ذلک فإن لرامة ولتجارب الحب الضائع في أدبنا الحديث "سلاف" قد يكون من المفيد أن نتوقف عندهنّ قليلاً» (*المصدر نفسه:* ٢٦٢). هذه الشخصية المبدعة والمتخلقة التي استخدمها الخراط لا نجدها أبداً في أدب الحب القصصي القديم؛ فهي شخصية فريدة وجديدة خلقها الخراط في ساحة الرواية العربية. وهكذا فالتعريف الجديد الذي قدمه الخراط للحب ساق هذه الرواية نحو العالمية وحرّض القراء على قرائتها، ولعل الرواية لم تكن لتصل إلى مثل هذه الشهرة، لولا هذا التفرد والابتكار. إذ إن القارئ يريد أن يصل إلى شيء جديد في الأثر الأدبى يناسبه. لهذا يقول حسام الخطيب: «و ما زال القرّاء الأوروبيون مثلاً يبحثون عن أدب الشرق في "ألف ليلة وليلة" و "عمر الخيام" أو في كتب الجنس العربية والهندية والشرقية القديمة بوجه عام، مع وفرة الكتب والمجلات والأشرطة الجنسية المكشوفة في مجتمعاتهم؛ بل هم مصرّون على أن تبقى صورة الشرق هي صورة ألف ليلة وليلة التي يتشربونها منذ صغرهم، ولا يستريحون إذا تغيّرت الصورة، لأنّها مصدر إمتاع لهم و تميّز»(الخطيب، ٢٠٠١: ٢٣٣). إذاً هناک أدلّة حاسمة على أن هذه الرواية رواية مبدعة وفريدة، كما أنها تتسم بميزات أخرى تكون سبباً لمسيرها نحو العالمية.

الإبداع و الإتقان

والإبداع والإتقان من مقوّمات العالمية والمراد به هنا «توفر شرط الإتقان الفني بوصفه شرطاً لازباً لا غنى عنه في عملية الترشيح للعالمية» (الخطيب، ٢٠٠١: ٢٣٧). عن تواجد ميزة الإبداع والإتقان في رواية "رامة والتنين" من الحق أن يقال: «المهم في هذه الرواية ليس هو حرص الكاتب على التعاقب والتسلسل، بل على التبلور والتكشف. فالدارس لهذه الرواية الاستثنائية لن يجد صعوبة في القول: إن الرواية لا تنتهي نهاية حدثية ما، بل تتوقف فقط لتستأنف من جديد استكمال باقي الحلقات في مجرى سردي آخر لاينتهي، ولايني يتجدد في رواياته اللاحقة» (أشهبون، ٢٠١٠: ١٢٩). إذاً فقارئ هذه الرواية المبدَعَة لا يفهم نصها بسهولة، لأن الوصول إلى كنه النص بسهولة ميزة النصوص الضعيفة، فينبغي أن يحتوي النص على التكشف في ظل إتقان فني بين عناصره حتى يتلذّذ القارئ بقرائته حينما يكشفُ مضامينه.

هنا نشير أيضاً إلى بعض الأساليب أو التقنيات السردية والإبداعية في رواية "رامة والتنين"،

منها استخدام الأسطورة: إن استخدام الأسطورة في الرواية جعل منها عملاً أدبياً إبداعياً، خاصة وأن الكاتب مزج بين الأسطورة والواقع. في رواية "رامة والتنين" أسطورة رئيسة هي أسطورة الموت والانبعاث، وهناك عملية استعارة من أساطير أخرى كالأسطورة الفرعونية، وإيزيس وأوزوريس، والعنقاء والتنين. نجد في الأدب المصري في أنواعه المختلفة كالشعر والرواية والمسرحية موقعاً جلياً للأساطير الفرعونية، وأسطورة إيزيس وأوزوريس الفرعونية أكثر أساطير الموت والانبعاث تردّداً في المنجَز الروائي المصري. لم يغفل الخراط عن استخدام الأساطير الفرعونية في روايته، ولم يغفل عن الأهمية الإبداعية للأساطير في الأثر الأدبي.

والغموض ميزة إبداعية أخرى في الرواية. ومن أسباب الغموض في هذه الرواية توظيف الكاتب للرموز والأساطير. إن الغموض الذي يليه التكشفُ يسبّب في تعدد التفسيرات، ويجعل القارئ يلمس أنه إزاء إمكانية لتعدد التفسيرات؛ وليس عليه في هذه الحالة سوى التقاط عنصر أو أكثر ثمّ تنميته وإخضاع بقية العناصر لصالحه. «هذه الميزة في بعض الأعمال الأدبية أدت إلى أن يطرح رولان بارت نظريته المعروفة المسماة بـ"موت المؤلف"» (شايگان‌فر، ١٣٩٠: ٩٨). وينطبق هذا القول على الآثار المبدعة كرواية "رامة والتنين".

استخدام عدد قليل من الشخصيات في الرواية يحتاج إلى الإبداع. إن كثيراً من الروائيين عند شعورهم بالعجز عن الإبداع يضخّمون حجم الرواية عبر إدخال شخصيات أو أحداث فرعية فى إنتاجهم، لكن الخراط اختار شخصيتين محوريتين لسرد الرواية وساعده ذهنه الإبداعي في نجاح الرواية رغم قلّة الشخصيات.

ومنها اختيار أسلوب تيّار الوعي: عمد الكاتب إلى استبطان الشخصية، والتركيز على ما يدور في ذهنها معتمداً على تقنية تيار الوعي، إذ يتم تسليط الضوء على بطليه (ميخائيل) و(رامة) فى عالمهما الداخلي، ووصف مشاعر كليهما على طول خط الرواية (بدر، لاتا: ٢) قال ميخائيل لنفسه:«لن يسحقني هذا الشوق، لن تُغرقني موجته التي ترتفع وتغمرني، كموجة من الدموع تصعد بي، وتسقط؛ لن أترك المياه المرتطمة تطويني في غمرتها» (الخراط: ١٩٩٣: ٣٠).

نجد تكثيفاً في الحالات الشعورية؛ لأن الرواية قائمة على الغوص في أعماق الشعور، إذ تنثال عبر تموجات كل من البطلين العاطفية ما يجري في ذهنيهما من أفكار، وتأملات يعجز الأنا الأعلى عن حدها، لذا لا نجد أبعاداً زمانية محددة وإن كان هناك زمن فعلي تجري عبره الأحداث

(السيولة الزمنية) ومن ثم تضمحلّ السببية؛ لأن أفكار الراوي تجري كالتيار متدفقة بصورة عفوية، وعشوائية من جهة، ومن جهة أخرى تصدر من اللاوعي عن وعي وقصد منظم (بدر، لاتا: ٣). إذاً في رواية "رامة و التنين" تم استخدام تقنية تيار الوعي على نحو مبالغ. إن تقنية "تيّار الوعي" تقنية مبدعة لجأ إليها كثير من الروائيين وقد تتسم الروايات العالمية بها، كرواية يوليسز لجيمس جويس أو رواية سيدة دالوي لويرجينيا ولف. إن استخدام هذه التقنية عند الروائي جعلنا نعتبر الرواية ضمن مشروع تيّار الوعي.

الواقعية السحرية تقنية أخرى استفاد الخراط منها كأبرز تقنيات في الرواية، فهى تبدو من اسم "التنين" في عنوان الرواية وتنتهي بحكايات حوله، وحكايات أو موضوعات أخرى تدفع الرواية نحو العجائبية، ولهذا جعلها النقاد ضمن مشروع روايات الواقعية السحرية. و"التنين" الذي تعانقه الشخصيات قد أعطى الرواية دفقة عجائبية أكثر. رامة تريد من ميخائيل أن يقتل كعشاق العذري القديم التنينَ ولكن ميخائيل يرفض ذلک بقوله: «قال لنفسه: لِم أقتلُ التنين؟ أعيش معه، أسنانه مغروزة في قلبى، متعانَقين بلا فراق أبداً، حتى الموت» (الخراط، ١٩٩٣: ٨١).أوتبدو العجائبية من حديث "ميخائيل" و"رامة"، كقول ميخائيل: «قال لنفسه: لم تكن مدينتنا، مدينتنا حلم ليلى، ساطع النور، قديم وخارج عن الزمن، مقتطع من جدران العالم العتيقة» (*المصدر نفسه:* ٥٦).

فالروائي قد استفاد في روايته من تقنيات عديدة، وقد صرح إدوار الخراط نفسه بـ «أن روايته ذات خصائص فنية غريبة مشيراً إلى تكنيكها الفني الذي يختلف عن رباعية لورنس داريك؛ فقد نهج في تكنيكه تسعة فصول، كل فصل منها يعد عملاً كاملاً، مع ذلك فله انعكاساته على الفصول الأخرى» (أسعد، ١٩٨٥: ٩٦). إذاً قد احتوت الرواية أهم التقنيات الحديثة التى تسوقها نحو الإبداع والإتقان ولم تكن بمعزل عنها. ومن الحق أن نقول بأن رواية "رامة و التنين" عالمية من حيث الإطار. تتكون الرواية من أربعة عشر فصلاً. يحمل كل فصل عنواناً خاصاً، بدءاً بـ "ميخائيل والبعجة" وانتهاءاً بـ "اليوم التاسع والأخير". والحقيقة أن وضع عناوين خاصة للفصول تقليد روائي قديم، لكن أعطاها الخراط دلالة و وظيفة خاصة. تحوي العناوين غموضاً وكشفاً عند القارئ ولا يفهم القارئ علاقة العنوان بالمضمون بسهولة. وقد ترک الخراط وظيفة اكتشاف المعاني لنا. بداية نقول إن هذا التعبير السردي في علاقة العنوان بالمضمون يجعل الرواية في إطار إبداعي.

تجدر بالرواية التي تنحو نحو العالمية أن تمتلك إطاراً و شكلاً فنياً متطوراً و مبدعاً.

إنّ العمل الأدبي العالمي هو أولاً وقبل أى شيء عمل متطور أو متقدم في شكله الفني. فالجودة الفنية للعمل الأدبي تجعله أكثر قدرة على اجتياز حدوده اللغوية والثقافية القومية وعلى دخوله دائرة العالمية، وذلك خلافاً للعمل الأدبي المتخلف في شكله الفني. إنّ الجودة الفنية هي الشرط الأول والأهم لبلوغ العالمية (عبود، ١٩٩٩: ١٠٠). ومن نافلة القول أن رواية "رامة والتنين" فنياً أفضل نموذجٍ لهضم عناصر فنية جديدة ولاكتساب الميزات الفنية العالمية. ونحن لانعتبر كل رواية عالميةً إلا إذا كانت ذات إطار محكم ومتماسک يجمع بين التعقيد والسهولة. وهذا التطور في الرواية العربية لم ينشأ بفعل هذه المؤثرات العالمية فحسب، بل جاء تلبية لحاجة أفرزها التطور في المجتمعات العربية التي أوجدت فن الرواية.

المقوّم اللغوي

هناک أيضاً المقوّمات اللغوية، يلتفت إليها حسام الخطيب في عالمية الأدب بقوله:«ولكن من الواضح جداً أن الأعمال المكتوبة باللغات الحية هي التى تتمتع بفرص أكبر للعالمية، أوذات انتشار واسع، متسعة الصدر»(الخطيب، ٢٠٠١: ٢٣٨). في البحث عن المقوّم اللغوي في رواية "رامة والتنين" ينبغي أن نقول إن أول ما يستوقف القارئ حينما يقرأ الرواية، لغتها الفخمة والجزلة التي تحتوي طاقات إيحائية كبيرة، لغة فصيحة بعيدة عن العامية قادرة على تصوير أحاسيس وأفكار أبطال الرواية. أهم ميزتها اقترابها إلى الفصحى وابتعادها عن العامية لاسيّما في الحوارات الواردة في الرواية. إننا نجد الخراط – إلى جانب نجيب محفوظ وقليل من الروائيين العمالقة – يكتب روايته باللغة الفصيحة والأنيقة ولا تخرج من الفصحى أبداً.

ميزة إبداعية أخرى لرواية الخراط هي اللغة الشعرية: إن الشعرية تكون ظاهرة كبرى يستخدمها الروائيون في العصر الحديث (يعقوب، ٢٠٠٠: ١٣) وقام الخراط بتوفير البنية الشعرية في الرواية من شعرية اللفظ والصورة والحكاية، كما نشاهد في الفقرة التالية مثلا: «لما استضاءت الأرض وطلع النهار، نزلتُ إلى البركة. عندئذٍ رأيتُ امرأة لم تكن من سلالة البشر. اقشعرّ جسدي عندما نظرتُ إليها. كان إهابها غضّاً وناعماً مازال حبها في جسدي (الخراط، ١٩٩٣: ٢٩).

بشكل عام ينبغى أن نقول أن اللغة العربية تعتبر من اللغات الحية في العالم وهي تحتلّ المكان

الخامس بين لغات العالم؛ لغة مرنة حية وعالمية وهي من أغنى اللغات من حيث المفردات والتراكيب ومستعدة للتعبير عن كثير من الشؤون النفسية والاجتماعية. وهذا بطبيعة الحال يساعد في عالمية الرواية المذكورة وأخواتها. وكتابة الرواية "الشحّاذ" قد أسهمت في شهرتها العالمية ولابد أن نشير إلى أنّ الترجمة هي القناة الرئيسة لعالمية الأدب ولا يمكن أن يلج العمل الأدبي دائرة العالمية ما لم يترجم إلى اللغات الأجنبية، وإلى الأنكليزية والفرنسية على وجه الخصوص (عبود، ١٩٩٩: ١٠٥). واكتسبت رواية رامة والتنين أهمية وشهرة كبيرة عندما حصلت عام ١٩٩٩ على جائزة نجيب محفوظ للرواية العربية، ثم تُرجمت فى العام نفسه إلى الإنكليزية.

المقوّم الإطاري

وفي معرض الحديث عن المقومات الإطارية يقول الخطيب:«على أنه لاينبغي الاعتقاد إطلاقا بأن كل عمل فني جيد يحمل خواص الموقف الإنساني يستطيع بالضرورة أن يرقى إلى دائرة العالمية. إن مبدأ العالمية خاضع لنسبة كبيرة من الحظ والمصادفة وليست الأعمال ذات الشهرة العالمية هي بالضرورة أفضل ما أنتجه الجنسُ البشري من إبداع. وإلى جانب المصادفة هناك مقاييس أخرى دنيوية أو فوق أدبية، كالمقياس السياسي وهناك وسائل اتصال ثقافي محددة تشكل الأقنية الطبيعية لبلوغ العالمية» (الخطيب، ٢٠٠١: ٢٤٥).

المقوم الإطاري اليوم يتوقف على العامل السياسي والحضاري. إن الرواية العربية تمتلك المقوّمات الذاتية واللغوية، لكن تخلّف البلدان العربية على الأصعدة السياسية والاقتصادية والثقافية وتخلّف هذه الأقطار على صعيد التقنية وعدم امتلاكها للدعاية القوية وقنوات الاتصال المتطورة يمنع من بلوغها مرتبة العالمية بسرعة. الترجمة هي إحدى المقوّمات اللغوية التي تجعل الرواية تنتشر فى العالم، لأنها أهم قنوات الاتصال، خاصة إذا تمت الترجمة إلى اللغة الإنجليزية.

نتائج البحث

يتبين من خلال ما تقدّم من آراء حسام الخطيب حول مقوّمات العالمية الأدبية، ومن خلال تطبيقها على رواية "رامة والتنين" أن هذه الرواية فريدة من حيث الموقف الإنساني؛ وذلك لأنها لم

تهمل قضية الإنسان وهواجسه أبداً؛ فهي تتطرق إلى الموضوعات الأساسية التي يواجهها الإنسان في حياته مثل الحب، والحياة، والموت، والألم والحقيقة وغيرها. ثم إن الرواية ذات سمات ونكهات محلية خاصة كالسمات الأسطورية والميثولوجيا المصرية خاصة والشرقية عامة؛ وهذا مما يقرب الرواية إلى التأصيل. وفي الرواية نجد توازناً إبداعياً ومقبولاً بين العام والخاص؛ فهي تجمع بين حديث العامة والمثقفين، وليست من الروايات التي تستهدف عامة الناس دون غيرهم. ومن ميزات هذه الرواية أنها فريدة من حيث الموقف كما أنها فريدة من حيث البناء خاصة بسبب اعتمادها تقنية الحوار المزدوج بين الشخصيتين الرئيستين اللتين تحتلان حيزاً ملحوظا في الرواية. وهي فريدة من حيث أنها تتحدث عن حب مثالي جديد وتقدم تعريفاً جديداً عن الحب يختلف عمّا ألفناه في الأدب العربي القديم والجديد، كما تكمن تفردها فى اختيار الكاتب للرموز المبدعة كرمز"رامة" أو في تعامله مع الأساطير تعاملاً انزياحياً مختلفاً. والرواية إلى جانب ميزة التفرد لم تهمل تقنية الإبداعات الروائية كالأسطورة والرمز واستخدام ميزة التكشف أو الغموض، والحبكة القوية والاسترجاع وغيرها؛ تلك التي ساقت الرواية نحو الإبداع الفني أكثر فأكثر.

ومما يزيد الرواية أهميةً الميزات اللغوية فيها؛ فهي تبتعد عن اللغة الدارجة و الركيكة والضعيفة؛ فالخراط أديب عملاق يختار الكلمات والعبارات بعناية فائقة. ثم هناك اللغة الشعرية للرواية وهذه اللغة الشعرية جعلت الرواية ذات لغة أنيقة رشيقة تتسم بالحيوية. ثم تأتي كتابة الرواية باللغة العربية؛ فهي من أقدر اللغات في تحليل الشخصيات الروائية، كما أنها من أفضل اللغات الأدبية وأجملها؛ وأخيرا و ليس آخرا ترجمة هذه الرواية إلى اللغة الإنجليزية؛ الأمر الذي يمهد الطريق لها للارتقاء إلى العالمية. على وجه عام يمكن أن نعتبر "رامة والتنين" من أشهر الروايات في الوطن العربي وقد نالت جائزة نجيب محفوظ للإبداع الأدبي.

المصادر

أبي سلمى، زهير(٢٠٠٥)، **ديوان الأشعار**، بيروت: دار المعرفة.

أشبهون، عبدالمالک (٢٠١٠)، **الحساسية الجديدة في الرواية العربية (روايات إدوار الخراط نموذجاً)**، بيروت: دارالعربية للعلوم.

أسعد، محمد علي (١٩٨٥)، **بين الأدب والموسيقى**، بغداد: دارآفاق عربية للصحافة والنشر.

اصغري، جواد (١٣٨٩)، «الاساليب السردية لدى ابراهيم نصرالله رائد الجيل الجديد فى الرواية الفلسطينية»، **مجلة الجمعية العلمية الإيرانية للغة العربية وآدابها**، العدد١٦، طهران: دانشگاه تربيت مدرس، صص٥١- ٧٢.

الجيار، مدحت (٢٠٠٨)، **السرد الروائي العربي (قراءة في نصوص دالة)**، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

الخطيب، حسام (٢٠٠١)، **الأدب المقارن من العالمية إلى العولمة**، الطبعة الأولى، الدوحة: المجلس الوطني للثقافة والفنون والتراث.

الهواري، احمد ابراهيم (٢٠٠٣)، **نقد الرواية في الأدب العربي الحديث في مصر**، القاهره: عين الدراسات والبحوث الإنسانية.

بحراوي، سيّد (لاتا)، **الأنواع النثرية**. دون ذكر مكان نشر.

بدر، فاطمة (لاتا)، **ظاهرة التضاد الحب والكراهية في الرواية العربية**، جامعة بغداد: كلية الفنون الجميلة.

بطرس، انطونيوس (لاتا)، **بدرشاكر سيّاب شاعر الوجع**، لبنان: المؤسسة الحديثة للكتاب.

خشبة، سامي(١٩٨١)، «رواية رامة والتنين مأساة مصرية»، **مجلة الفصول**، المجلد الأول، العدد٢، صص ٢٦١-٢٦٩.

دراج، فيصل (لا تا)، **نظرية الرواية والرواية العربية**، بيروت: الدار البيضاء.

شايگان فر، حميد رضا (١٣٩٠ ش)، **نقد ادبى: معرفى مكاتب نقد**، تهران: انتشارات دستان.

عبود، عبده (١٩٩٩)، **الأدب المقارن، مشكلات و آفاق**، دمشق: اتحاد الكتاب العرب.

عزام، محمد (٢٠٠٥)، **شعرية الخطاب السردي**، دمشق: اتحاد الكتاب العرب.

مرتاض، عبدالملك (١٩٩٨)، **في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد**، الكويت: عالم المعرفة.

نصرالله، ابراهيم وآخرون (٢٠٠٣)، **أفق تحولات الرواية العربية**، الأردن: دار الفارس للنشر.

نبيل، سليمان(٢٠٠٠)، «التصوف كبنية روائية»، **مجلة الموقف الأدبي**، العدد ٣٤٨، دمشق: اتحاد الكتاب العرب

وسواس، نجاة (٢٠١٢)، «السارد في السرديات الحديثة»، **مجلة مخبر أبحاث في اللغة و الأدب الجزائري**، الجزائر: جامعة محمد خيضر، صص ٩٧- ١١٥.

يعقوب، ناصر(٢٠٠٤)، **اللغة الشعرية و تجلياتها في الرواية الشعرية**، عمان: دار الفارس للنشر.

المواقع الإنترنتية

صابر، أيوب (٢٠١٢)،«**رامة والتنين: هل هي رواية أم "انجيل جديد" حاول ادوار الخراط ان يأتي به**»: *http://www.mnaabr.com/vb/showthread.php?p=138630*

مؤلفه‌های جهان‌شمولی در رمان «رامه و التنین» اثر ادوار الخراط در پرتو نظریه حسام الخطیب

(پژوهشی در باب ادبیات تطبیقی)

هادی نظری منظم[1]، شهرام دلشاد[2]*

۱. استادیار گروه زبان و ادبیات عربی دانشگاه تربیت مدرس

۲. دانشجوی دکتریِ رشته زبان و ادبیات عربی دانشگاه بوعلی سینا

چکیده

برخی رمان‌های عربی به دلیل مضامین بلند، ویژگی‌های رفیع هنری و شگردهای نویسندگی، جهان‌شمول و نامزد دریافت جایزه نوبل شده‌اند؛ مثل رمان تأمل‌برانگیز و زیبای رامه و التنین اثر ادوار الخراط که شهرتی جهانی دارد و به زبان‌هایی چون انگلیسی نیز ترجمه شده‌است. روش این مقاله توصیفی ـ تحلیلی است و در آن بر اساس مؤلفه‌های جهانی شدن ادبیات از دیدگاه حسام الخطیب، به بررسی رمان رامه و التنین(رامه و اژدها) اثر ادوار الخراط پرداخته‌ایم. گفتنی است که بین ادبیات تطبیقی و جهان‌شمولی پیوند بسیار نزدیکی وجود دارد. چراکه ادبیات تطبیقی به مطالعه ادبیات در آن سوی مرزهای زبانی، فرهنگی و بین‌رشته‌ای می‌پردازد؛ آثاری که توانسته‌اند از مرزهای محدود ملی فراتر رفته و جهانی و جاودانه شوند. نتیجه حاصل از این پژوهش آن است که رمان مزبور، از نظر فرم، محتوا و شگردهای نوین داستان‌نویسی، معیارهای جهان‌شمولی را دارد. این رمان همچنین اساسی‌ترین مسائل انسانی از قبیل عشق، مرگ، زندگی، و... را مطرح کرده‌است. علاوه بر آن، رابطه رمان با کهن‌الگوها و اساطیر شرقی به این رمان اهمیت جهانی داده‌است.

کلیدواژه‌ها: ادبیات تطبیقی؛ جهان‌شمولی؛ حسام الخطیب؛ ادوار الخراط؛ رامه و التنین.

* نویسندهٔ مسئول sh.delshad@ymail.com